سورة المدثر

لسيادة الأستاذ السيد صلاح الدين السلجوقى
سفير الافغانستان

« ألقى سيادة الفيلسوف المسلم الاستاذ صلاح الدين السلجوقى سفير الافغانستان ، كلمة بدار المؤتمر الاسلامى ، عن ذكرى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، عرض فيها ، لتفسير سورة « المدثر » وهى من طلائع السور التى جاء بها الوحى ليضىء بها أمام الرسول طريق الدعوة والجهاد ، فأعطانا لونا جديدا من التفسير العميق المثير ، وقدم منهجا من مناهج الفكر والمعرفة ، يفتح أمام العقول أبوابا وآفاقا » .

(ياأيها المدثر) بدثار من التقاليد والأوهام الراسخة فى المحيط الاجتماعى الجاهلى الذى أحاطك من أطرافك كثوب لا يليق بشخصك المصطفى لأنك خليفة الله فى الارض ولأن روح الله فيك ، فعليك أن تزيل هذا الدثار وتمزق هذه الفترة .

(قم فانذر) ، أى انهض ونبه بنى آدم ، بالنقد والتبصرة ، الى عواقب الاوهام ومغبة العوائد الخرافية ، وارشدهم الى الحقائق الثابتة من المبادى الخالدة ، مبدأ الخير ، ومبدأ الحق ، ومبدأ العلم ، ومبدأ العدل .

(وربك فكبر) ، لأن هناك أهوالا من الطبيعة ، وسلطات وتغلبات من المجتمع ، وحولا وقوة من دون الله . فكبر الله رب الأرباب وحده ، ولا تخضع لأى حول أو قوة غير حول الله تعالى وقوته .

(وثيابك فطهر) ، فخرقة الجبن والفجور والبخل والسفاهة لا تليق بأهل الحق أن يدثروا بها . وان لباس التقوى ورداء الشجاعة والكرم وأزار العفة وقناع القناعة ، هو خير .

(والرجز فاهجر) الرجز هو الرجس والأوثان . ان هنالك أوثانا ميتة ، وأخرى حية . فالاوثان الميتة هى التماثيل المنحوتة للعبادة . أما الاوثان الحية فهى زمرة المستولين على أراضى الله ، والغاصبين لحقوق البشر دون حق أو سلطان من الله . فالانبياء عليهم السلام جاهدوا وناضلوا لمحاربة الاوثان الحية أكثر مما جاهدوا وناضلوا لمحاربة الاوثان الميتة . ان جهاد سيدنا ابراهيم عليه السلام ضد نمرود كان أعنف وأقسى منه ضد الأصنام . وكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام ، لقد قضى على الاوثان الميتة عندما فتح مكة ، وانتهى أمره منها . ولكن جهاده وجهاد دينه ضد الأوثان الحية من الظلم والاستبداد والاستعباد والاستثمار قد طال وامتد ، ولا يزال مستمرا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

(ولا تمنن تستكثر) . لقد كانت القيم الاخلاقية ، الى حد ما ، تهدف الى أحد الاهداف المادية التى تنتهى أخيرا الى نهاية نفعية . فمثلا كانت غاية الاخلاق عند سقراط وأفلاطون هى الخير الاعلى .

وكانت عند أرسطو هى السعادة . وكلتاهما فى نهاية الشوط كانت غاية مادية من طبيعة نفعيـــة . ولكن أول ما قيل « الوظيفة لأجل الوظيفـــة Buty for the Sake of Duty. فمثـــلا كانت غاية الاخـــلاق عند سقراط وأفلاطون هى الخير الأعلى summum Bonum كان ينبوعه الاعلى من وحى هذه الآية الكريمة . وهذا هو معنى ما قيـــل « تخلقوا باخلاق الله » ذلك لأن أخلاق الله تعالى وفعله ليست لغرض خارج عن الفعل . فالله تعالى خالق لأنه خالق ، ولطيف بالعبـاد لأنه لطيف ، لا لهدف آخر . فأصحاب الضمير يسلكون سبيل الحق والخير لا لجلب نفع أو لدفع ضر ، بل لأجل الحق والخير اللذين هما مظهران من مظاهره جل وعلاه .

(**ولربك فاصبر**) ولكن مبدأ « الوظيفة لأجل الوظيفة » كما ادعاه ايمانويل كانت ، لا يعين للعمل الاخلاقى هدفا أو محـركا . ولذا رأى الفيلسوف المذكور ضروريا أن يعتقد بالحكم المطلق للوظيفة

ولكن الحكم المطلق لا يمكن أن يصدر عن الوظيفـة اذا كانت انســـانية محضة . ولم يكن الحكم ليصدر عن مبدأ ميتافيزيقى سام سرمدى .

وهذا كان السبب فى أن الفيلسوف « كانت » فى آخر الشوط ألزم على نفسه أن يعترف بالوجود الأزلى والواجب وبخلود الروح .

فهذه الآية الكريمة تشير الى أن الحكم المطلق للوظيفة صادر عن منشأ روحى قدسى أزلى أبدى ، هو ربنا الذى يصعد اليه الكلم الطيب والعمـل الصـالح .

ففى تلك الآيات القصار السبع ، التى لا تتجاوز كل واحدة منهـــا كلمتين ، نرى دستورا جامعا كافيا مستوعبا لجميع شـؤوننا الاجتماعيـة والفردية .

فالانسان ، أول ما يفعل لتهذيب نفسه واصلاحها ، أن يخـــرج من القشرة البالية التى كونها محيطه المتدهور البالى . م

ثانيا : انه ينهض ويقوم . ولكن نهوضه لا يمكن أن يتحقق بغير نقد المكاره الفردية والاجتماعية . ذلك لأن آلة المصلح انما هى النقد والانذار .

ثالثا : يعين هدفه ومبدأه ومثله الأعلى .

رابعا : يطهر قلبه وسريرته من كل الاغراض الدنيئة ، ويجعل نضاله وأعماله خالصة للمبدأ والهدف والوظيفة .

وبعد ذلك يقوم بالخطوة الخامسة وهى الحملة على الظلم والطغيان ، وعلى الطاغوت ، وعلى الأرباب من دون الله ، كى يتغلب عليهم ويجعل كلمة الله من الحق والعدل والخير ، هى العليا .

وسادسا : يعمل كل هذا . لا منا ولا أذى ، ولا سعيا وراء مغنم مادى أو مجد دنيوى ، ولكن لأجل المبادىء والوظيفة ، وابتغاء وجه الحق والخير الذى ينتهى الى الله الذى هو المثل الاعلى والهدف الأسمى .

سابعا : يعين للعمل الأخلاقى سندا قويما سرمديا ومصـــدرا قدسيا للأمر المطلق للوظيفة ، من رب العالمين ومالك يوم الدين .